معتز عرفان

تأملات في
رواية
ذكريات مخرج سينمائي

الجانب الخيالي بالعمل

هناك درجة عالية من الخيال في هذا العمل، فالرجل لم يغادر أريكته إلا أحيانا، حتى في صغره، وهو منسجم مع هذه الحالة في حقيقة الأمر، حتى ولو أظهر غير ذلك، لأنه يري بداخل نفسه أن العالم لا يستحق التجول وأن الدنيا خدعة وخيال.

خيالات كثيرة تجتاح عقله، نجاحات عديدة يتأملها من بعيد، صراعات داخلية يتخلص منها مع الوقت، وعواطف جياشة تحاول أن تلتصق بشخصيات من وحي الخيال.

يظهر البطل حبه للطعام، فيتحدث عن العسل والأجنحة والدجاج والبريسكت وغيرها من الأطعمة، إلا إنه يحاول أن يخبرنا بأن الطعام واحد في نهاية المطاف رغم حبه للتنوع والتنقل.

الجانب الواقعي بالعمل

بالطبع، هناك درجة من الواقعية واضحة، وهناك رصد لأمور تخص الواقع الذي نعيشه، وفي نفس الوقت تظهر نغمة كتاباتي الأولي كالعادة، تلك الكتابات التي تخص الحث على التقوى والابتعاد عن الفجور بأشكاله المختلفة.

لكنني أهاجم الغرور المتعلق بالتقوي بشكل متساو مع الغرور المتعلق بالفسوق في أعمالي الأخيرة، ولهذا أحاول أن أخبر التقي بأن يحافظ على تقواه وألا يسمح للغرور بأن ينال منه، وفي الوقت عينه تدفع كتاباتي من يمارس الفسوق إلى التخلص من فسوقه وتحثه على انتهاج طريق النجاة، لأن الناس عند الله درجات وأكثرهم تقوي أعلاهم مكانة بكل تأكيد. وتمثل كتاباتي رصدا للنشاط لا للأفراد، حتى ولو اتخذت من الشخصيات إطارا للتوضيح، والتجربة في نهاية المطاف تشمل البشر أجمعين (القارئ، الكاتب... إلخ). إلا إنني أؤكد على ضرورة أن ينجو الإنسان بنفسه على المستوي الأخلاقي في هذا الزمان.

الله لا يتأثر بشيء وسبحانه غني عن العالمين، فالدنيا بأكملها نقطة بالنسبة للخالق، ومن ينجح في الاختبار ينجح من أجل نفسه ومن أجل درجته.

يسير الإنسان معجبا بنفسه حتى تختبره الحياة، يتحدث عن تقواه ويصف الآخرين بالفاسقين حتى تنال منه بعض لمسات الفسوق، بعض لمسات التمرد، وحينها يدرك الحقيقة...

في هذه الفقرة، أوضح مقتل الغرور المتعلق بالتقوي، حيث أن التقي قد يسير بين الناس مغرورا متكبرا فرحا بتقواه حتى يمارس بعض أنواع الشر والتمرد الواضحة، وحينها تنال منه الصدمة. ولهذا من الضروري أن يفرح الإنسان بتقواه وأن يحافظ عليها وأن يخفيها ويبتعد عن الفسوق وما يتصل به دون تكبر أو غرور، وهو ما يمثل الصواب.

فمن الضروري ألا يبالغ المرء في إظهار التقوى، وفي نفس الوقت من الضروري ألا يبالغ المتمرد في إظهار التمرد وأن يتخلص من تمرده، لأن النجاة متصلة بالتقوي والتوبة الحقيقية والانقطاع التام عن الخطأ بكل تأكيد. فالنجاة من نصيب التقي القوي الذي يحارب الشهوات ويمتنع عن التكالب على أمور الدنيا.

يوضح القرآن حقيقة أن هناك أجيالا لاحقة لن تصلي وستتكالب على الشهوات وسيكون مصيرها الجحيم، لكنها ستدخل الجنة إن تابت وتخلصت من شرورها وعملت على التقرب الحقيقي إلي الله عبر اللجوء إلى التوبة الحقيقية والانقطاع التام عن المنكر، وبالطبع من تمكن من كبح جماح نفسه في البداية، منتصر وقوي ومحظوظ، لأنه سيكون ذا مكانة عظيمة.

بالنسبة إلي الجوانب الواقعية التي تخص البطل، فإنها متصلة بالعمل السينمائي الذي تمكن من إخراجه، لكن الأفلام القصيرة التي يتحدث عنها، هي أفلام ضعيفة لا تصلح للمشاهدة، إلا إنه يحاول أن يعظم من شأنها في بعض الفقرات، وفي نفس الوقت، تمثل الشخصيات الأنثوية في العمل ضربا من الخيال، حيث أنه يلاعب من قبل الأنيما الكامنة بداخله، أي أنه يلاعب من قبل

الجانب الأنثوي، ذلك الجانب المضطرب الذي يحاول أن يتجسد عبر أي شخصية أنثوية خيالية ممكنة، وهو ما يلاعب الكثير من الذكور حول العالم، خاصة في سن المراهقة، لدرجة أن بعض علماء النفس قد أدرجوا السلوك العاطفي الجنسي تحت بند الخيال ووضحوا أن الغريزة تأخذ سياقا خياليا كبيرا بشكل واضح، بشكل قد يتفوق علي الواقع في حقيقة الأمر. فالمراهق الذي ينكب على دراسته، يهاجم من قبل خيالات جنسية أو عاطفية كمهرب في الكثير من الأحيان، وهو ما رصدته التجربة مع الكثيرين، لكنه بمجرد أن يرضي عواطفه، يتعجب مما فات، وتقل الخيالات عنده بشكل واضح، إلا أن الوسيط الافتراضي قد يلعب دورا محوريا فيما يخص هذا الشأن.

كعادتي، حاولت أن أدرج روح الكاتب الذي يحث على الفضيلة في العمل، وقد اتخذ اسما هذه المرة، وعرف بالمعتز ذو الفقار، وقد زار البطل في أحلامه وتناقشا حول الكثير من الأمور، إلا أن البطل قد رأي أنه كان مرتديا لقناع ملاك، لكنه لم يهتم بهذه الأفكار وطار.

في هذه الفقرة، إشارة إلى خطورة الدعوة إلى الفضيلة في الكثير من الأحيان خاصة في هذا الزمان، حيث أن الكثيرين قد تتم مهاجمتهم ووصفهم بما ليس فيهم لمجرد أنهم يصممون على الدعوة إلى الفضيلة ويتحدثون عنها بكثرة، حيث تظهر الكثير من النظريات والأفكار الغريبة كرد فعل يحاول الحفاظ على نغمة التمرد الواهمة، تلك النغمة التي يمثل الهلاك مصيرها المحتوم. ورغم ذلك لا يوجد إجبار، ولكل إنسان عقله وطريقه.

الكثير من الفقرات في العمل، ترصد مشاهدا سينمائية من أفلام غربية يحاول المخرج أن يعيشها بداخل خياله، لدرجة تجعلنا نعتقد أنه مجنون، ورغم ذلك من المعروف أن مخرجا سينمائيا كبيرا قد تحدث في إحدى المرات عن حقيقة أن الفنانين والمخرجين مرضي بالخيال والهروب من الواقع والعيش في عوالمهم الخاصة التي توفر لهم الانسجام بشكل ما.

تأملات عشوائية في العمل

في الحقيقة، الأولوية في كتاباتي تكمن في الجوانب الداخلية والنفسية، وهو أمر واضح، وقد تطرقت في هذا العمل إلى الصدمات العصبية التي تنال من الكثيرين، خاصة ممن لم يحققوا ما رغبوا فيه، ومن الممكن أن أوضح حقيقة أن الأجيال الجديدة في العوالم المرهقة تعيش حالة من الصدمة، لكنها بدرجات، ولكل درجة مسار معين يخصها.

إلا أن هذه الصدمات قد تلحق أيضا بمن يعيشون في أكثر العوالم تقدما، لأن الأمر لا يتوقف عند النقاط التي تخص العمل والمال فحسب، لكنه يتصل بالعديد من الأمور الأخرى التي تخص التوقعات والعلاقات البشرية والجوانب النفسية، فالدنيا ليست بالجنة بكل تأكيد.

منذ عقود، هناك حالة من الهجرة والهروب تخص الكثير من أبناء العوالم المرهقة، حيث أنهم يحاولون النجاة بأنفسهم عبر السفر إلى الولايات المتحدة أو الخليج أو أوروبا أو غيرها من البقاع، إلا أن هناك مميزات وعيوبا تخص كل شيء. هناك مميزات وعيوب تخص الاستقرار في الوطن ومميزات وعيوب تخص السفر إلى الخارج.

الدنيا فانية، الدنيا تمر بالبشر بينما يخططون من أجلها، الدنيا وهم وخدعة، وغيرها من الإشارات التي يحاول العمل أن يقدمها، وهي نغمة أحب أن أدرجها بداخل كل أعمالي، ومن الممكن أن أطلق عليها نغمة الروحانية المعهودة، إلا أن الروحانية سهلة من

حيث الكلام وصعبة من حيث البلوغ، ومن بلغها بشكل نسبي، فقد فاز بكل تأكيد.

هناك أزمة وجودية عالية النغمة عند المخرج، مقارنة بالآخرين، حيث أنه يشعر بأنه لم يقدم شيئا مهما، رغم أن هذا الشعور يباغت كل البشر بين الحين والآخر، إلا أن غروره المتضخم يرهقه، ولهذا يحاول أن يتخلص منه باستمرار عبر التحدث عن كونه إنسانا عاديا وبسيطا في بعض الفقرات.

مع البساطة، يعيش الإنسان حياته بشكل أفضل، وهو المعروف، لأن التوقعات الكثيرة تخلق نوعا من القلق والتوتر، وهو ما أثبته علم النفس بكل تأكيد، إلا أن الإنسان في حاجة إلى ما يحركه ويدفعه إلى الأمام بشكل منطقي يوازن بين الخيال والحقيقة.

نغمة الفنتازيا متألقة والسريالية في القمة والتنقل العشوائي بين الأفكار واضح في بعض الفقرات، ونغمة التفلسف قوية كالعادة، لكن صار من الضروري أن نتطرق إلى أفكار جديدة، ولهذا من الممكن أن نصف "ذكريات مخرج سينمائي" بالعمل الأخير في سداسية "الدعوة الفلسفية إلى الفضيلة". تلك السداسية التي تمثل التطبيق الواقعي، بينما يمثل كتاب "الإيروسية والثاناتوسية" الرصد الصريح للناموس الذي ينأي عن التطبيق بشكل صريح.

لقد تنقلت الأعمال بين الحث المباشر على الفضيلة، إظهار قوة الأتقياء ونجاتهم، وصف المخالف بالصفات الواقعية، الحث على التخلص من التمرد، انتهاج الشخصية الأساسية لطريق التمرد

وتحليل الأحاسيس ضمن إطار واقعي وافتراضي، إظهار الخطيئة الأصلية، إخبار المتمرد بأن التمرد صفة البشر أجمعين لعله يدرك أنه لا يمثل شيئا خاصا أو مميزا، وهو ما ظهر على هيئة عبارات مثل "أعتقد أننا كنا خلعاء جميعا وقتها، أعتقد أن رجلا كان يرسل من نايه أنغاما جعلتنا في غفلة عن الحقيقة حينها". إلا إنني أوضح أن كتاباتي لا تمثل سوي الرصد الواقعي للحقيقة، وفي الوقت عينه لا مفر من الحقيقة التي تخبرنا بأن النجاة من نصيب الأتقياء والتائبين الذين انقطعوا تماما عن الخطأ، لأنها الحقيقة التي وضعها الخالق سبحانه، والله غني عن العالمين، والبشر هم الفقراء.

فالله سبحانه وتعالي أكبر من كل شيء، ولا يتأثر بشيء، لكنه يعلم كل شيء، ويعلم ما يحدث قبل أن يحدث، ويختبر الجميع، ومن ظن أن الدنيا مستقر أبدي فقد ضل بكل تأكيد.

أما موجة الانهيار الأخلاقي، فهي موجة قديمة، كما أنها سياق يرصده القرآن الكريم بوضوح، لأنه جزء من القدر والحقيقة، لكنه في الوقت عينه يحث المتمردين على التوبة والعودة إلي الله عز وجل.

ومن الضروري أن أوضح أن كل ما يحدث، يحدث بداخل المشيئة، فالإنسان كائن ضعيف، حتى ولو أظهر غير ذلك، لأنه لا يمثل سوي لسان في نهاية المطاف. فلو أراد الله للجميع أن يؤمنوا، لفعلوا، ولو أمر السماوات بأن تحمل الأمانة، لفعلت، ولو أراد أن يسجد الشيطان، لفعل. ورغم ذلك، هناك جزء اختياري بهدف إدراج سياق الحساب

و المعني و الحق و ما يتعلق به من تدرج و مكانة و اصطفاء.
و العظمة و الدنيا و الآخرة لله وحده.

يقول الله عز وجل في سورة "مريم"

فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا –٥٩

إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا – ٦٠

جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا –٦١

لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلاَّ سَلامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا –٦٢

تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا –٦٣

صدق الله العظيم

(التكرار وعرض العواطف المتطرفة والتنقل بسرعة ولعب الأدوار الغريبة وسرد القصص، بمثابة الوسيلة الأفضل لغرس قوالب نفسية معينة وتحريك الوعي الجمعي)

- معتز عرفان

(مؤلف كتاب "الإيروسية والثاناتوسية"}

[الدنيا نهار وليلة، والنجاح في الحياة أمر بسيط، والسعادة في الاقتراب من الله، وكي يشعر المرء بذلك عليه أن يتخلص من التكالب ويقترب بشكل حقيقي]

- معتز عرفان

دار عرفان للنشر ٢٠٢٢
مؤسسة معتز عرفان للفنون و الفلسفة
جميع الحقوق محفوظة ٢٠٢٢